

﴿ تِلْكَ أَمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا
تُسْأَلُونَ عَنْهَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة: 134]

❁ مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

هذه الآية تعقيب لما مضى من آيات من لدن قوله تعالى ﴿وَإِذْ أَنْتَلَىٰ إِبرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَتٍ﴾ [البقرة: 124] إلى قوله تعالى: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ﴾، ففي هذه الآيات المُتقدِّمة ثناءً على إبراهيم عليه السلام وبنيه، وتنويه بشأنهم، وسُمو منزلتهم، وتقبيح فعل من لم يلتزم طريقهم، "وكان ذلك قد يتجل منه المغرورون عذراً لأنفسهم؛ فيقولون: نحن وإن قصّرنا فإن لنا من فضل آبائنا مسلكاً لنجاتنا، فذكرت هذه الآية لإفادة أن الجزاء بالأعمال لا بالأنكال"⁽¹⁾، فلا يكن منكم ذلك، فإن لكل أمة عملها؛ فلا ينتفع قوم بصالح أعمال أسلافهم، بل إن كل أمرٍ رهين بما كسب مُحاسب يوم الحشر على ما فعل.

❁ شَرْحُ الْمُفْرَدَاتِ:

(1) ﴿خَلَتْ﴾: فعلٌ ماضٍ جذره اللغوي من (خلو)، والأصل في معناه: دلالته "على تعري الشيء من الشيء، يُقال هو خلو من كذا، إذا كان عرواً منه، وخلت الدار وغيرها تخلو، والخلي: الخالي من الغم، وامرأة خلية: كناية عن الطلاق، لأنها إذا طلقت فقد خلت عن بعْلِها"⁽²⁾.

وخلأ الشيء: مَضَى وَذَهَبَ فخلأ منه المكان والزمان الذي كان يشغله"⁽³⁾.
"والخلو يستعمل في الزمان والمكان لكن لما تصوّر في الزمان المضي فسر أهل اللغة: خلا الزمان، بقولهم: مضى الزمان وذهب"⁽⁴⁾.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 1/735.

(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (خلو).

(3) جبل، للعجم الاشتقاق للوُضَل: (خلو-خل).

(4) الزاغب، المفردات: (خلا).

ومعنى ﴿حَلَّتْ﴾ في الآية: تلك أُمَّةٌ قد مضت وانقضى عهدُها.

(2) ﴿كَسَبَتْ﴾: فعلٌ ماضٍ جذره اللغويّ (كسب)، والأصل في معناه: دلالته "على

ابتغاءٍ وطلبٍ وإصابةٍ، فالكسبُ من ذلك" (1).

و"الكسبُ: طلبُ الرزق، وأصله الجمعُ، تقول منه: كَسَبْتُ شَيْئاً واكتسبتهُ بمعنًى، وفلان طيِّبُ الكسب ... وكسبتُ أهلي خَيْرًا، وكَسَبْتُ الرَّجُلَ مالاً فَكَسَبَهُ" (2).

ومن معانيه أيضًا "ما يتحرّاه الإنسانُ ممّا فيه اجتلابٌ نفعٍ وتحصيلٌ حظٍّ ككسبِ المال، وقد يُستعملُ فيما يُظنُّ الإنسانُ أنّه يَجْلِبُ مَنْفَعَةً ثُمَّ اسْتَجْلِبَ بِهِ مَضَرَّةً، والكسبُ يُقالُ فيما أخذهُ لنفسِهِ ولغيرِهِ" (3).

والمعنى في الآية: "أَيُّ: تلك الأُمَّةُ مُخْتَصَّةٌ بجزاءٍ ما كَسَبَتْ، كما أنّكم كذلك مُخْتَصُّونَ بجزاءٍ ما كَسَبْتُمْ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، فلا يَنْفَعُ أَحَدًا كَسَبُ غَيْرِهِ" (4).

(3) ﴿نَسْأَلُونَ﴾: فعلٌ مضارعٌ من الأفعالِ الخمسةِ مبنيٌّ للمفعول (المجهول)، الماضي

المُجَرَّدُ منه (سأل)، وهو جذره اللغويّ، والأصلُ في معناه "استخراجُ ما في حوزةٍ

أخرى؛ أي: طلبُ تحصيلِهِ بِدَفْعٍ أو حَثٍّ: كما تخرِجُ الصَّدَقَةَ والدرهمُ من المسؤُولِ" (5).

والسؤالُ "استدعاءُ معرفةٍ أو ما يُؤدِّي إلى المعرفةِ واستدعاءُ مالٍ، أو ما يُؤدِّي إلى

المالِ، فاستدعاءُ المعرفةِ جوابُهُ على اللسانِ ... واستدعاءُ المالِ جوابُهُ على اليدِ" (6).

وله غيرُ نوعٍ في المُتعدِّي، "والسُّؤالُ إذا كَانَ لِلتَّعْرِيفِ تعدَّى إلى المفعولِ الثاني تارةً

بنفسِهِ، وتارةً بالجارِّ، تقولُ: سألتُهُ كذا، وسألتُهُ عن كذا، وبكذا، ويعن أكثرُ" (7).

والفعلُ ههنا مُتعدٍّ بحرفِ الجرِّ (عن)، والمرادُ هنا الاستخبارُ؛ أي طلبُ معرفةِ الخبرِ

في أمرٍ ما.

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (كسب).

(2) الجوهري، الصحاح: (كسب).

(3) الرّاعب، المفردات: (كسب).

(4) أبو حيان، البحر للحيط: 1/644.

(5) جبل، العجم الاشتقاقي للؤصل: (سأل).

(6) الرّاعب، المفردات: (سأل).

(7) الرّاعب، المفردات: (سأل).

(4) ﴿يَعْمَلُونَ﴾: فعلٌ مضارعٌ دالٌّ على الاستقبال، مُسندٌ إلى واو الجماعة، الجذر اللغويُّ منه (عمل)، والأصل في معناه الفعل عامّة⁽¹⁾ و "الْعَمَلُ كُلُّ فِعْلٍ يَكُونُ مِنَ الْحَيَوَانَ بِقَصْدٍ فَهُوَ أَخْصَصُ مِنَ الْفِعْلِ؛ لِأَنَّ الْفِعْلَ قَدْ يُنْسَبُ إِلَى الْحَيَوَانَاتِ الَّتِي يَقَعُ مِنْهَا فِعْلٌ بِغَيْرِ قَصْدٍ، وَقَدْ يُنْسَبُ إِلَى الْجَمَادَاتِ، وَالْعَمَلُ قَلَمًا يُنْسَبُ إِلَى ذَلِكَ"⁽²⁾. والعملُ "أعمُّ لأنه من أعمال الجوارح والقلب، وتدخل فيه الأقوال؛ لأنها عمل اللسان، وهو من جملة الجوارح، وقد وقع في التّقابل الفرق بين الأقوال والأفعال فيقولون: سديد الأقوال والأفعال"⁽³⁾.

والمعنى في الآية: أنكم لا تسألون عمّا كانوا يعملون "سؤالَ حسابٍ وجزاءٍ، ولا يُسألون عمّا تعملون كذلك، بل كُلُّ يُسألُ عَنْ عَمَلِهِ، ويُجازى به دُونَ عَمَلٍ غَيْرِهِ"⁽⁴⁾.

❁ الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيُّ:

تلك جماعة من النَّاسِ من أسلافكم الّتي سبق ذِكْرُهَا وَذِكْرُ أَنْبِيَائِهَا، من إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب وأبنائهم ﷺ جميعًا، فهؤلاء مَصُونًا لِسِيْلِهِمْ، "وَالْخِطَابُ مُوجَّهٌ إِلَى الْيَهُودِ، أَي: لَا يَنْفَعُكُمْ صَلَاحُ آبَائِكُمْ إِذَا كُنْتُمْ غَيْرَ مُتَّبِعِينَ طَرِيقَتَهُمْ"⁽⁵⁾. فَلِتِلْكَ الْأُمَّةِ مَا كَسَبَتْ مِنَ الْإِيمَانِ وَالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ مِنَ الْإِيمَانِ وَالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ أَوْ الذُّنُوبِ، فَكُلُّ يَسْتَحِقُّ الْجَزَاءَ عَلَى أَعْمَالِهِ، خَيْرًا كَانَتْ أَمْ خِلَافَ ذَلِكَ، لَا يُؤَاخِذُ أَحَدٌ بِذَنْبِ أَحَدٍ، وَلَا يَنْفَعُ أَحَدًا إِلَّا إِيْمَانُهُ وَتَقْوَاهُ.

❁ الْإِبْضَاحُ اللَّغَوِيُّ وَالتَّبْلَاغِيُّ:

دلالة التعبير بلفظ الإشارة ﴿تِلْكَ﴾ الدال على البعد:

ابتدأ الحقّ تبارك وتعالى قوله: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾ بالإشارة إلى تلك الأمة المذكورة في الآية السابقة، "التي هي إبراهيم

علو مكانة الأمة
يجعلها نبراساً
منيراً ومعلماً
مَرْقُومًا في ذاكرة
الأتقياء

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (عمل).

(2) الزاغب، للفردات: (عمل).

(3) السمين، عمدة الحفاظ: (عمل).

(4) محمّد رشيد رضا، تفسير المنار: 1/393.

(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 1/735.

ويعقوب وبنوهما الموحّدون⁽¹⁾، وقد عبّر بـ﴿تِلْكَ﴾ وهو اسم إشارة موضوعٌ للبعد⁽²⁾، وسرُّ هذا التعبير أنّهم ﴿أُمَّةٌ﴾ أي: بمنزلتها في الشرف والبهاء⁽³⁾، فضلاً عن كونها أُمَّةً مَضَتْ، ففيه إيماءٌ إلى علوِّ مكانتها، وسموّ منزلتها أن اتّبعَتِ الدِّينَ القويم، وسارت على نهج الملة الإبراهيميّة الصّحيحة، وآثرت الأعمال على الاتكال.

بلغة المجاز العقلي:

معنى الخلوّ في قوله تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾ الفراغ، أي: خلا منها المكان، وانقضى زمانها بعد أن كانت تشغله، وأُسْنِدَ "الخلوّ" إلى أصحاب المكان على طريقة المجاز العقلي؛ لِنُكْتَةِ المُبالغة⁽⁴⁾، ولبيان أنّه مهما وُجدت من أُمَّةٍ فَإِنَّ مَصِيرَهَا إِلَى زوال، وَذِكْرُهَا إِلَى اضمحلال، وسيكون جزاؤها عند الله ما قدّمته؛ إِنْ خَيْرًا فَخَيْر، وَإِنْ شَرًّا فَشَرّ.

فائدة تقديم المسند على المسند إليه:

قُدِّمَ المسندُ على المسندِ إليه في الجملتين في قوله تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلكُمْ مَا كَسَبْتُمْ﴾؛ لَأَنَّ الأصل: ما كسبت لها، وكذلك الأخرى لَكِنَّهُ قَدَّمَهَا؛ "لِقَصْرِ الْمُسْنَدِ إِلَيْهِ عَلَى الْمُسْنَدِ، أَي: مَا كَسَبَتْ الْأُمَّةُ لَا يَتَجَاوَزُهَا إِلَى غَيْرِهَا، وَمَا كَسَبْتُمْ لَا يَتَجَاوَزُكُمْ، وَهُوَ قَصْرٌ إِضَافِي لِقَلْبِ اعْتِقَادِ الْمُخَاطَبِينَ"⁽⁵⁾، وتخيب ظنونهم، وقطع أطماعهم من الانتفاع بحسنات من مضى من أسلافهم.

فائدة نفي السؤال عن عملهم التوكيد:

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ "جُمْلَةٌ توكيديةٌ لما قبلها، لِأَنَّهُ قَدْ أَخْبَرَ بِأَنَّ كُلَّ أَحَدٍ مُخْتَصَّ بِكَسْبِهِ مِنْ خَيْرٍ،

مهما تناولت
أزمان الأمم
فمصيّرهما
الاندثار

لا ينتفع
الحاضرون بما
عمل السابقون،
ولا يُغني أحدٌ
عن أحد

كل نفس بما
كسبت رهينة

(1) الرّمخسريّ، الكشّاف: 1/333.

(2) الأزهريّ، شرح التصريح على التوضيح: 1/146.

(3) الألوسي، روح المعاني: 1/392.

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 1/375.

(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 1/735.

وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ، فَلَا يُسْأَلُ أَحَدٌ عَنْ عَمَلٍ أَحَدٍ⁽¹⁾؛ لِأَنَّهُ مِثْلَمَا لَا تَنْتَفِعُونَ بِحَسَنَاتِ
 غَيْرِكُمْ، كَذَلِكَ لَا تُسْأَلُونَ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ، وَأَنْتُمْ مَبْرُؤُونَ مِمَّا عَمَلُوا وَمِمَّا فَعَلُوا، وَلَا تَزِرُ
 وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى.

(1) أَبُو حَيَّان، الْبَحْرُ الْلَحِيطُ: 1/645.

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني، سورة البقرة من الآية 98 إلى الآية 180
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

سنة الطبع: 1444هـ - 2023م

© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي

الطبعة الأولى: 2023م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:

مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: سورة البقرة من الآية 98 إلى الآية 180 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم

الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-

الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2023.

مج. 2، 804 صفحة؛ 24x17 سم.

ردمك: 8-53-798-9948-978

يشتمل على إرجاعات ببليوجرافية.

مج. 2: سورة البقرة من الآية 98 إلى الآية 180.

1-القرآن - تفاسير نحوية 2-القرآن، بديع 3-القرآن، بلاغة 4-القرآن - سور وآيات 5-القرآن-

ألفاظ أ-العنوان ب- مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).

قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

التقييم الدولي: 8-53-798-9948-978

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-7984852 بتاريخ 2023/03/10م،

مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية: E

«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري

الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»